

تأهيل القادة الدينيين والدعاة لنشر

سماحة الإسلام

الأستاذ الدكتور / محمد عبد الستار الجبالي

أستاذ الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة

ورئيس قسم الفقه بكلية الدراسات العليا

مصر

مقدمة :

الحمد لله الذى أكرمنا بالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالقرآن منهجاً، وبالسنة طريقاً، والحمد لله الذى جعل الدين الإسلامى دين الشريعة السمحاء.

أما بعد ،،،

فإن الدين الإسلامى خاتم الأديان والرسالات السماوية، وقد تميز منذ فجر دعوته بالسماحة واليسر، مما جعله صالحاً لكل زمان ومكان فى جميع مجالات الحياة، عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً ومعاملات، فهو دين الحنيفية السمحة.

لذا اجتذب هذا الدين السمح أنظار الناس فى المشارق والمغرب، وما يزال ينمو ويزداد أتباعه إلى يوم القيامة، وسيظل شرع الله تعالى دستوراً للمجتمعات، وملجأ العقلاء ومنطلق المناهج الإصلاحية كلما احتدمت الأزمات، واستحكمت المشكلات، وتكاثرت الاضطرابات، فالشريعة الإسلامية السمحاء بها منهج السماحة الذى به تصلح البشرية ويعمُّ الرخاء والخير والاستقرار والسلم والأمان، ومن خلاله يتحقق التقدم والازدهار فى كل مناحى الحياة، ولنا فى نبينا الكريم محمد ﷺ الأسوة والقدوة فيما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

« رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى »^(١).

فقد جعل الله عز وجل هذه الأمة خير الأمم، وآتاهم من المناهج والشرائع خيرها وأبقاها، فكانت هي الأمة السمحاء، ومن أبرز مظاهر سماحتها أنها لم تُكره أحدًا على الدخول فيها، حيث قال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢)، وجاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تأمرنا بالسماحة، وهذا يدعونا إلى إلقاء الضوء على هذا الموضوع المهم، وهو: تأهيل القادة الدينيين والدعاة لنشر سماحة الإسلام.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه. كِتَابُ : الْبُيُوعِ ، بَابُ : السُّهُولَةِ وَالسَّمَاخَةِ فِى الشَّرَاءِ وَالْبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِى عَفَافٍ ٢٠٧٦-٣/٥٧.

(٢) البقرة : ٢٥٦.

أسس تأهيل القادة الدينيين والدعاة لنشر سماحة الإسلام

تمهيد:

فى ظل الواقع المعاصر الذى نعيش فيه الآن أصبح تأهيل القادة الدينيين والدعاة لنشر ثقافة سماحة الإسلام له أهميته البالغة حتى يكون القادة الدينيون والدعاة قدوة ورمزاً فى التسامح، ومن ثم يقوم هؤلاء الدعاة بنشر ثقافة التسامح فى المجتمع من خلال منابرهم الدعوية، وكل هذا ينجح من خلال برنامج تأهيلي يتم إعداده للقادة الدينيين والدعاة :

والتأهيل: مصدر أهل، ومنه: التأهيل الأكاديمي: جعل المرء مؤهلاً أكاديمياً، ومنه: التأهيل الاجتماعي: وهو إصلاح فرد أو عضو حتى يصبح نافعا للمجتمع بعد أن كان عاجزاً، ومنه: التأهيل التربوي: وهو إعداد المعلم بإعطائه دروساً فى التربية، ومنه: التأهيل المهني: وهو جعل المرء مؤهلاً مهنيًا^(١).

ويقال: أهل بالتشديد، أهله لذلك: أى رآه أهلاً له ومستحقه، ويقال أيضاً: أهله إلى ذلك^(٢)، فالتأهيل: إصلاح وإمداد باللازم، وخير ما يساعد القائد والداعية وينمى من مهاراتها القيادية هو: التدريب والتعليم القيادي الذى أصبح لا غنى عنه للقيادات فى المجتمع الملئ بالتحديات الكثيرة^(٣). ولقد أعطى كثير من المؤلفين تعريفات مختلفة للقيادة منها ما يلي:

القيادة : تشمل أى جهد لتشكيل سلوك الأفراد أو الجماعات فى المؤسسات حيث تحصل المؤسسة من خلالها على مزايا لتحقيق أغراضها.

أو: هى عملية تأثير فى أنشطة أفراد أو مجموعات تسهم فى تحقيق الأهداف فى موقف محدد.

أو: هى القدرة على التأثير فى الآخرين من أجل تحقيق أهداف أو أغراض محددة .
أو: هى الصفة التى تخلعها جماعة معينة على فرد من أفرادها، فيه خصائص وقدرات معينة تجعله فى نظرهم أهلاً للصدارة وأحق بالقيادة.
أو : هى عملية تحريك الناس نحو الهدف.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/١٣٦ .

(٢) تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر أن دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط، ١/٢٠٦ .

(٣) إعداد القيادة بين الفكر الإسلامى والفكر الوضعي؛ دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه للباحث عادل عبد الله هندی ، ص١٥٢، ١٥٣.

وأخيراً: هي قدرة التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة، فهي إذن مسئولية تجاه المجموعة المقودة للوصول إلى الأهداف المرسومة .
والقيادة الناجحة تحرك الأفراد في الاتجاه الذى يحقق مصالحهم على المدى البعيد.
والقائدُ وَاحِدُ القَادَةِ، والقادة: السّادة^(١).

والمقصود بالقيادة الدينيين والدعاة: هم قادة جامعة الأزهر، وقادة وزارة الأوقاف، والدعاة الذين يعملون فى مجال الدعوة إلى الله من خريجي الأزهر وأئمة الأوقاف، وهم الذين يقع على عاتقهم مسئولية التخلق بخلق السماحة والسعى لنشره فى المجتمع من خلال تأهيل يتم لهم من خلال برنامج عملى يتم تأهيلهم بناءً عليه.

و« **مرحلة التّأهيل** » مرحلة مهمة وتعد من أهم مراحل «إعداد القادة الدينيين والدعاة لنشر سماحة الإسلام»، وهى المرحلة التى يتمّ فيها تحديد آليات المنهج المستخدم فى إعداد القيادات الدينية والدعوية، من حيث:

أولاً : تحديد المادّة العلمية المستخدمة فى التّأهيل.

ثانياً : الصفة المراد زرعها فى القيادات الدينية والدعوية المرشحة لنشر قيمة السماحة أثناء التّأهيل.

ثالثاً : الوسائل المتاحة لاستخدامها فى تأهيل القادة الدينيين والدعاة لنشر سماحة الإسلام.

رابعاً : الاختيار الجيد لمن يُعلّمون ويُدرّبون القادة والدعاة على نشر سماحة الإسلام.

خامساً : تحديد الاحتياجات اللازمة للقادة الدينيين والدعاة من تدريب إيمانى وروحى ومهارى وعلمى، على أن يقوم بهذه المهمة التدريبية مجموعة من المتخصصين.

وتأتى أهمية التّأهيل من أنها فرصة عظيمة للاستعداد والتدريب، فلا بُد من التّأهيل للقادة والدعاة قبل الممارسة والتوظيف، ومن بين الأسس التى سنتحدث عنها فى تأهيل القيادة تأهيلاً صحيحاً، ما يلى :

المطلب الأول : تأهيل القادة الدينيين والدعاة معرفياً وفكرياً لنشر سماحة الإسلام.

المطلب الثانى : تأهيل القادة الدينيين والدعاة أخلاقياً وسلوكياً لنشر سماحة الإسلام.

المطلب الثالث : تأهيل القادة الدينيين والدعاة تنموياً ومهارياً لنشر سماحة الإسلام.

(١) مختار الصحاح: ٢٦٢/١ ، المخصص: ٩٦/٤.

المطلب الأول

تأهيل القادة الدينيين والدعاة معرفياً وفكرياً

لنشر سماحة الإسلام

ومن أهم مراحل تأهيل القادة الدينيين والدعاة على نشر سماحة الإسلام هو تأهيلهم [معرفياً وفكرياً]، بأن يتم تأهيل القادة والدعاة من خلال: تحديد المادة العلمية المتعلقة بسماحة الإسلام، حتى يكون لديهم حصيلة علمية كافية عن موضوع السماحة والتي تتمثل فيما يلي:

أولاً: تأهيلهم معرفياً وفكرياً بالمقصود بمصطلح السماحة في الإسلام.

ثانياً: تأهيلهم معرفياً وفكرياً بمنزلة وفضائل السماحة في الإسلام.

ثالثاً: ضوابط السماحة في الإسلام.

رابعاً: مجالات السماحة في الإسلام.

فهذه الحصيلة العلمية تغرس بداخلهم قيمة السماحة فتجعلهم يتحلون بها؛ ليكونوا قدوة، وليقوموا بنشر ثقافة سماحة الإسلام في المجتمع.

وفيما يلي الحديث عن كل محور من المحاور السابقة حتى تكون مادة علمية خصبة لتأهيل القادة الدينيين والدعاة على نشر سماحة الإسلام:

أولاً: تأهيلهم معرفياً وفكرياً بالمقصود بمصطلح السماحة في الإسلام:

السماحة لغة: مادة س م ح: (السَّمَاحُ) وَ(السَّمَاحَةُ) الْجُودُ، وَسَمَحَ لَهُ أَيْ أَعْطَاهُ، وَ(السَّمَاحَةُ) الْمُسَاهَلَةُ وَ(تَسَامَحُوا) تَسَاهَلُوا^(١)، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ (السَّمَاحُ رِبَاحٌ)، أَيْ الْمُسَاهَلَةُ فِي الْأَشْيَاءِ تُرْبِحُ صَاحِبَهَا^(٢)، وَسَمَحَ لِي بِالشَّيْءِ إِذَا جَادَ بِهِ فَهُوَ سَمَحٌ^(٣)، وَفِي الْحَدِيثِ: الَّذِي رَوَاهُ حُذَيْفَةَ عَنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: « أَسْمَحُوا لِعَبْدِي كَأَسْمَاحِهِ إِلَيَّ عِبِيدِي »^(٤).

وَسَمَحَ وَتَسَمَّحَ: فَعَلَ شَيْئًا فَسَهَّلَ فِيهِ؛ أَنْشَدَ ثَعْلَبٌ:

ولكن إذا ما جلَّ خطبٌ فسامحتُ ... به النفسُ يوماً، كان للكره أذهباً

(١) مختار الصحاح: ١٥٣/١.

(٢) تاج العروس: ٤٨٦/٦.

(٣) جمهرة اللغة: ٥٣٥/١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١٩٥/١.

وَالْحَنِيفِيَّةَ السَّمْحَةَ؛ لَيْسَ فِيهَا ضَيْقٌ وَلَا شِدَّةٌ، وَمَا كَانَ سَمْحًا، وَلَقَدْ سَمِحَ (بِالضَّمِّ) سَمَاحَةً: جَادَ بِمَا لَدَيْهِ^(١).

فالسماحة: الجود والكرم واللين والسهولة، وبذل ما لا يجب بذله تفضلاً^(٢)؛ لما روى عَنِ الْحَارِثِ أَنَّ عَلِيًّا ﷺ سَأَلَ ابْنَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَشْيَاءَ «...» قَالَ: فَمَا السَّمَاةُ؟ قَالَ: الْبَذْلُ مِنَ الْعَسِيرِ وَالْيَسِيرِ «...»^(٣).

فهي التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها وعدم القهر، وسماحة المسلمين هي التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم البعض، أو مع غيرهم من أصحاب الفكر والمنهج الآخر.

ثانياً : تأهيلهم فكرياً ومعرفياً بمنزلة السماحة وفضائلها في الإسلام:

من المسلم به أن التأهيل الفكري والمعرفي بمنزلة السماحة وفضائلها في الإسلام لا بد له من عدة نقاط نتناولها في ما يلي :

١. السماحة سمة من أهم سمات الشريعة الإسلامية: فقد بعث الله محمداً ﷺ بالحنيفية السمحة، وذلك فيما حدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامِ ابْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَقْنِي عَلَى مَنْكِبِيهِ لِأَنْظُرَ إِلَيَّ زَفَنِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى كُنْتُ الَّتِي مَلَّتْ، فَانصَرَفَتْ عَنْهُمْ " قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يَوْمَئِذٍ: " لَتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ"^(٤).

وأحكام الإسلام مبنية على السهولة واليسر ورفع الحرج، وخصال الدين كلها محبوبة لكن ما كان سمحا أى سهلا فهو أحب إلى الله، لذلك لا ينبغي التشديد في دين الله أو التعسير على عباد الله؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا،

(١) لسان العرب : ٤٨٩/٢ ، تاج العروس : ٤٨٤/٦ ، المعجم الوسيط : ٤٤٧/١ .

(٢) كتاب التعريفات. للجرجاني، ص ١٢١، معجم لغة الفقهاء : ٢٤٩/١، معجم مقاليد العلوم فى الحدود والرسوم. جلال الدين السيوطي، ص ٢٠٦، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ١٩٧.

(٣) المعجم الكبير. للطبراني بَقِيَّةُ أَخْبَارِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ٢٦٨٨ ؛ ٦٨/٣ مسند الشهاب القضاعى: ٧٤، ٧٨/١ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد: ٢٤٨٥٤ ، ٣٤٨ /٤١ .

وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»^(١)، وانظر إلى بنى إسرائيل لما شددوا شدد الله عليهم و لو سامحوا سومحوا: ويتبين ذلك فى قصة البقرة.

٢. **السماحة أفضل الإيمان:** ومن ذلك ما روى عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه، عن جده، قال: كانت فى نفسى مسألة قد أحرزنتى لم أسأل رسول الله ﷺ عنها، ولم أسمع أحدا يسأله عنها، فكننت أتحينها فدخلت ذات يوم وهو يتوضأ فواففته على حالين كنت أحب أن أوافقه عليهما، وجدته فارغا طيب النفس، فقلت: يا رسول الله، أئذن لى فأسألك، قال: «نعم، سل عما بدا لك» قلت: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «السماحة والصبر»^(٢).

٣. **السماحة من أهون العمل وأفضله:** ويتمثل ذلك فيما رواه حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن على بن رباح أنه: سمع جنادة بن أبي أمية يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول: إن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: يا نبى الله، أى العمل أفضل؟ قال: «الإيمان بالله وتصديق به وجهاد فى سبيله» قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله قال: «السماحة والصبر»، قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله قال: «لا تنتهم الله فى شيء قضى لك به»^(٣).

٤. **السماحة من مكفرات الذنوب:** ويتمثل ذلك فيما روى عن يحيى بن يحيى، وأبى بكر ابن أبى شيبة، عن أبى كريب، وإسحاق بن إبراهيم - واللفظ ليحيى - قال يحيى: أخبرنا، وقال الآخرون: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن أبى مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان مؤسرا، فكان يأمر غلمانة أن يتجاوزوا عن المعسر»، قال: " قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه"^(٤).

(١) أخرجه البخاري. كتاب الإيمان، باب: الدين يسر: ٣٩، ١٦/١، والنسائي فى السنن الكبرى، كتاب الإيمان وشرائعه، باب الدين يسر: ٥٠٣٤، ١٢١/٨، واللفظ للبخارى.

(٢) المعجم الكبير. للطبرانى: ١٠٥، ٤٩/١٧، المستدرک على الصحيحين. للحاكم: ٦٦٢٨، ٧٢٥/٣، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٣٥٧/٣.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه. كتاب الإيمان، باب: الدين يسر: ١٦/١.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه: ١٥٦١، ١١٩٥/٣.

٥. السماحة سبب للرحمة: وذلك لما روى علي بن عيَّاش، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُكَدَّرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(١).

٦. السماحة منجاة من كرب يوم القيامة: لما روى عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، أَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ بِحَقٍّ، فَاخْتَبَا مِنْهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: الْعُسْرَةُ، فَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى ذَلِكَ فَحَلَفَ، فَدَعَا بِصَكِّهِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَنْسَأَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^(٣).

٧. السماحة تحرم صاحبها على النار: لما روى عن عمرو، عن رجل من بني عبد الله ابن مسعود، عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ هَيِّنًا لِيُنَّا سَهْلًا قَرِيبًا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٤)، وعن ابن مسعود، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ مَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لِيْنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ»^(٥).

٨. السماحة تبارك في العمر وتزيد في الرزق: لما روى عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ بَقَاءً أَوْ نَمَاءً رَزَقَهُمُ السَّمَاةَ وَالْعَفَافَ، وَإِذَا أَرَادَ بِقَوْمٍ اقْتِطَاعًا فَتَحَّ عَلَيْهِمْ بَابَ خِيَانَةٍ ثُمَّ قَرَأَ ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٦).

٩. السماحة من الصفات التي يحبها الله عز وجل: لما روى عن عمران بن حصين، قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَرْفِ عِمَامَتِي مِنْ وَرَائِي فَجَذَبَهَا فَقَالَ: «يَا عِمْرَانُ أَنْفِقْ وَلَا تُصِرَّ صِرًّا فَيَعْسُرُ

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: ٢٠٧٦، ٥٧/٣.

(٢) مستخرج أبى عوانة: ٥٢٣٧، ٣٤٤/٣، شرح مشكل الآثار: ٣٨١٢، ٤٢٢/٩، شرح السنة. للبخارى: ٢١٣٨، ١٦٩/٨.

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: ٣٠٠٦، ٤/٢٣٠١.

(٤) أحاديث إسماعيل بن جعفر: ٣٧٣، ٤٣٧/٤.

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى مسنده: ٤٠٩، ١/٢٧٢.

(٦) مسند الشاميين. للطبرانى: ١٩، ٣٤/١، الأنعام: ٤٤.

عَلَيْكَ الطَّلَبُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ السَّمَاحَةَ وَلَوْ عَلَى تَمَرَاتٍ، وَيُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ، وَيُحِبُّ الْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ هَجْمِ الشُّبُهَاتِ»^(١).

ثالثاً: تأهيلهم فكرياً ومعرفياً بضوابط السماحة:

فالسماحة لها ضوابط وليست على إطلاقها، فقد يخطئ بعض الناس في مفهوم السماحة فيظن أن بعض الأمور تنافي السماحة وهي من لبابها ومفتاح بابها، وهذه الضوابط هي كالتالي:

أ. أن تكون السماحة فيها وسطية لا تهوين ولا تهويل.

ب. ألا تتنافى مع انتهاك حدود الله أو حرمانه.

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَجْتَنُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(٢).

ولما روى عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»^(٣).

ج. ألا يكون فيها تضييع للحقوق لغير طيب نفس: حيث روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فأغلظ فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالا»، ثم قال: «أعطوه سناً مثل سنه»، قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلا أمثال من سنه، فقال: «أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء»^(٤).

كما ينبغي أن يعلم القادة والدعاة أن آفة السماحة المن، ويتجلى ذلك فيما روى عن علي رضي الله عنه: «... وآفة السماحة المن...»^(٥).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٩٩/٦، مسند الشهاب القضاي: ١٠٨٠، ١٥٢/٢.

(٢) الشورى: ٣٧-٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: ٣٥٦٠، ١٨٩/٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون: ٢٣٠٦، ٩٩/٣.

(٥) المعجم الكبير. للطبراني بقیة أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما: ٢٦٨٨، ٦٨/٣، مسند الشهاب القضاي: ٧٤، ٧٨/١.

رابعاً : تأهيلهم معرفياً وفكرياً بأن يكون لديهم حصيلة علمية عن مجالات السماحة فى الإسلام وتمثل تلك المجالات فيما يلي:

١. السماحة فى العقيدة: حيث نزل قرآن يتلى إلى يوم القيامة يعلن أن: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ﴾^(١).

ومن أوضح النصوص القرآنية دلالة على حرية الاعتقاد فى الإسلام - فى إطار الضوابط التى ذكرناها - قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۗ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۗ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۗ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۗ﴾^(٢)، فمن إخلاص النصح والتوجيه القرآنى أن فى هذه الآية الناطقة بكل وضوح إقراراً لمبدأ حرية الاعتقاد، ولكن هذه الحرية ليست مستوية الطرفين وفى هذا إخلاص فى النصح والتوجيه وأمانة فى البلاغ والإبلاغ، لئلا تكون هذه الحرية المقصورة على الحياة الدنيا سبباً فى هلاك فريق من العباد يرون أن الإيمان والكفر يستويان فى ميزان العدل الإلهى محياً ومماتاً، ولكن مع بيان هذه التفرقة بينهما يتحمل كل إنسان نتائج اختياره فى الدنيا والآخرة.

٢. السماحة فى المعاملات: وذلك فى المجالات الآتية:

أ. السماحة فى البيع والشراء والقضاء: ما روى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»^(٣) وعن جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى»^(٤)، وسمحاً أى سهلاً وهى صفة مشبهة تدل على الثبوت فلذلك أعاد الرسول ﷺ أحوال البيع والشراء والقضاء وهذا يدل على المساهلة فى المعاملة، وترك المشاحة، وعدم المطل: أى إعطاء الناس حقوقهم بغير مهل، ومن حسن القضاء أن من استقرض شيئاً فرده أحسن أو أكثر من غير شرط كان محسناً ويحل ذلك للمقرض، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى

(١) البقرة : ٢٥٦.

(٢) الكهف : ٢٩.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه : ٢٠٧٦، ٥٧/٣.

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه : ١٣٢٠، ٦٠٢/٣.

النَّبِيُّ ﷺ سِنَّ مِنَ الْإِبْلِ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ»، فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنَّاً فَوْقَهَا، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ»، فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهِ بِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»^(١).

ب. السّماحة في الدين والاقتضاء: وفي هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ

إِلَى مَيْسِرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وهذه الآية من أروع نماذج السّماحة في وقت قضاء الدين عن المعسر.

وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَاذًا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتِيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ"^(٣).

٣. السّماحة عند طلب العلم: وذلك ببذل العلم، وهو من أفضل أبواب السّماحة، وخير من

السّماحة بالمال، لأن العلم أشرف من المال فينبغي على العالم أن يبذل العلم لمن يسأله عنه، بل يطرحه عليه طرحاً، وإذا سأله عن مسألة استقصى له جوابها استقصاءً شافياً وأوعب في ذكر أدلتها؛ فلا يقتصر على مسألة السائل بل يذكر له نظائرها ومتعلقها ومأخذها بحيث يشفيه ويرويه، وقد سأل الصحابة الكرام رضى الله عنهم - النبي ﷺ عن المتوضئ بماء البحر وذلك فيما رواه الْمُغِيرَةَ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ - وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ - أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرَكِبُ الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ الطَّهُّورُ مَاؤُهُ الْحَلُّ مَيْتَتُهُ»^(٤) فأجابهم على سؤالهم وجاد عليهم بزيادة لعلمهم في بعض الأحيان أحوج إليها مما سألوه عنه.

٤. السّماحة في العرض: وفي هذه السّماحة من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من

معاداة الناس ما فيها... كان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق على مسطح ابن أثانة لقرابته منه وفقره، وعندما هلك مسطح فيمن هلك من أصحاب الإفك فحاض مع الخائضين الذين اتهموا السيدة عائشة

(١) أخرجه البخارى في صحيحه : ٢٣٠٥ ، ٩٩/٣ .

(٢) البقرة : ٢٨٠ .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا : ٢٠٧٨ ، ٥٨/٣ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه : ٨٣ ، ٢١/١ .

رضى الله عنها بالفاحشة أقسم أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق عليه، فعوتب الصديق فتصدق بعرضه على الرغم من عظم ذنب مسطح، والله درّ القائل:

فإن قدر الذنب من مسطح *** يحط قدر النجم من أفته
و قد جرى منه الذي جرى *** وعوتب الصديق في حقه

وأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها تخبرنا بجلية الأمر، قالت: "... فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١). فقال أبو بكر: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه (٢).

٥. السماحة في التراحم والرفق والرفقة مع الآخرين، وخفض الجناح لهم؛ قال تعالى:

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «... وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مفسط مصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» (٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم! من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليهم. ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به» (٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٦).

(١) النور : ٢٢.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه : ٢٦٦١، ٣/١٧٣.

(٣) الشعراء : ٢١٥.

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٥)، من حديث عياض بن حمار.

(٥) رواه مسلم (١٨٢٨)، من حديث عائشة .

(٦) رواه مسلم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير.

٦. السماح في الحث على الملاينة والتساهل في المعاملة: قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين لين سهل»^(١).

٧. السماح في الأمر بالعتو عن المسيء والإعراض عن الجاهلين؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٥)، وعنها: «وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةٌ لِلَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ»^(٦).

٨. السماح في إقالة المعتز: (والمعتز هو من ندم على بيع باعه، وعقد أمضاه، ويشعر بحاجته إلى الرجوع في العقد، وإلغاء حكمه وآثاره)، فندب الشرع إلى إجابة طلبه، وإقالة عثرته، فيتسامح الطرف الآخر ويرضى بإلغاء البيع والعقد؛ فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ»^(٧).

(١) رواه الترمذی (٢٤٨٨)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في صحيح الترمذی.

(٢) النور: ٢٢.

(٣) آل عمران: ١٣٤.

(٤) الأعراف: ١٩٩.

(٥) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٦) متفق عليه، رواه البخاری (٦١٢٦).

(٧) رواه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٠٠)، وصححه الألباني.

٩. **السماحة في التعامل مع غير المسلمين:** لقد جاء الإسلام ليكون رحمة للعالمين؛ وليسقط الأغلال والعنت الذي كان على من كان قبله من الشرائع؛ وذلك لأن نبي الإسلام ورسول رب العالمين محمدًا ﷺ كان من أعظم المقاصد التي أرسل من أجلها أن يكون رحمة للعالمين؛ كما قال الله تعالى ذلك في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١)، وعن أبي هريرة- رضى الله عنه - قال: قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً^(٢)، فهذا الدين قائم على الرحمة والسماحة واليسر، وفي تشريعاته مظاهر بينة للرحمة والسماحة مع غير المسلمين؛ لكي يدرك غير المسلمين أن هذا الدين من لدن حكيم عليم رحيم بخلقه.

وفضلا عن ذلك فينبغي تأهيل القادة فكريًا وعلميًا عن طريق دعمهم بصور من سماحة الإسلام مع غير المسلمين:

حيث حرص الإسلام على تحريم التعرض بالأذى بالقول والفعل لكل معاهد أو مستأمن دخل ديار الإسلام؛ وأغلظ في العقوبة لمن تعرض لهم بالأذى؛ فقد أخرج الإمام البخارى فى صحيحه فقال حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرْحِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوْجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا »^(٣).

ومن سمات سماحة الإسلام مع مخالفيه من أهل الكتاب:

أن الله تعالى نهى المسلمين أن يبدؤهم بالجدل فى أمور العقيدة والدين، وأدأ للفتنة فى مهدها، فإن اضطررنا لمجادلتهم، كأن يبدؤونا هم فجدالنا لهم مقيد بضابط حكيم لا يقل أثرًا عن ترك الجدل معهم فى وأد الفتنة وإيغار الصدور، وهو أن نلتزم فى الجدل معهم - إذا اضطررنا إليه - بأحسن مناهج الجدل وأبعدها عن الإثارة والتهيج، مع طرح مبادئ من شأنها أن تؤلف بيننا وبينهم، مع الحذر كل الحذر أن يفتنونا عما أنزل الله إلينا، والنصوص القرآنية فى هذا المعنى متعددة نكتفى منها بما يأتى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا

(١) الأنبياء : ١٠٧.

(٢) الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم : ٢٧٠٥ ، ٣/٣٠٢.

(٣) صحيح البخارى: ٣١٦٦ ، ٤/٩٩، باب إثم من قتل معاهدا بغير ظلم.

مِنْهُمْ ^ط وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾، انظر إلى أى مدى يتفرق القرآن مع أهل الكتاب وهم يناصبونه العدا، فصدر الآية: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يفيد أن الأصل ترك جدالهم والإعراض عنهم.

ثم يستنتى من هذا الأصل - ترك الجدل معهم - حالة واحدة، هي الجدل بالتي هي أحسن، أى لا يثير فتنة ولا يوغر صدوراً، ولا يورث أحقاداً... ثم يستنتى من هذه الحالة المستثناة - الجدل بالتي هي أحسن - حالة واحدة كذلك، هي معاملة الذين ظلموا منهم بمثل ما يعاملوننا به. ثم انظر - مرة أخرى - إلى ما تشير إليه الآية من طرح مبادئ وأصول من شأنها أن تؤلف بيننا وبينهم:

فأولاً: قولوا لهم: آما بما أنزله الله علينا: القرآن، وبما أنزله عليكم: التوراة والإنجيل - كما تلقاهما موسى وعيسى عليهما السلام - من ربهما.

وثانياً: قولوا لهم: إن إلها وإلهكم واحد، هو الله.

وثالثاً: قولوا لهم: نحن لهذا الإله الواحد - الله - مسلمون.

ثم قال - مرة ثالثة -: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ^(٢) ولم يقل: بالحسنى، وهذا معناه:

أن نتوخى معهم أحسن مناهج الجدل وأحبها إلى النفوس، فكون المنهج حسناً فى نفسه لا يكفى، بل المطلوب هو المنهج الأحسن، وهذا معناه مرة أخرى أن الذى يمارس مهمة الجدل معهم لابد أن يكون عالماً متمكناً فاقها لأساليب الدعوة، مدركاً للتفاوت بينها، فلا يجهل عليهم ولا يبدؤ فى القول معهم، وإنما يكون جداله فى الإطار العام الموضوع للدعوة: بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك لأن المقصود من الدعوة فى الإسلام واحد من أمرين:

إما الإقناع والاستمالة إلى الحق المدعو إليه... وإما إقامة الحجة على المدعو برفق وهدوء.

وتلك هى اللغة الوحيدة التى تغزو القلوب وتهزها من أعماقها وتجذب النفوس وتنتشلها من

أوهامها، وتقنع العقول وتطهرها من عنادها ومكابراتها.

(١) العنكبوت : ٤٦.

(٢) النحل : ١٢٥.

وأيضاً تعددت صور السماحة في هدى النبي ﷺ مع غير المسلمين وشواهد ذلك من سيرته لا تحصى وأذكر منها ما يلي:

١. رحمته ﷺ بالخلق عامة وهو الذى قال الله عز وجل عنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١).

فكان ﷺ الرحمة المهداة إلى الخلق كلهم، وحث على العطف على الناس ورحمتهم فعن جرير بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ »، وفى رواية: « مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ لا يَرْحَمُهُ اللهُ » (٢) وكلمة الناس هنا تشمل كل أحد من الناس، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم، وجاءت النصوص فى باب الرحمة مطلقة، فعن أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ غَرَسَ غَرْسًا، أَوْ زَرَعَ زَرْعًا، فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، أَوْ طَيْرٌ، أَوْ سَبْعٌ، أَوْ دَابَّةٌ، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ »، وفى رواية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشَّرٍ، وَهِيَ فِي نَخْلٍ، فَقَالَ: مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ، مُسْلِمٌ، أَوْ كَافِرٌ؟ قَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، قَالَ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ نَخْلًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَائِرٌ، أَوْ دَابَّةٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ » (٣). فدين الإسلام دين السماحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

٢. تجاوزه عن مخالفه ممن ناصبوا له العدا، فقد كانت سماحته يوم الفتح غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر و عفوهم، فكان موقفه ممن كانوا حربا على الدعوة ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء (٤).

٣. دعاؤه ﷺ لمخالفه من غير المسلمين، فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس - ظنا بأن النبي ﷺ إنما رفع يديه للدعاء عليها - فقال ﷺ: (اللهم اهد دوسا وائت بهم)؛ فعن أبى هريرة ؓ

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) رواه البخارى ١٣ / ٣٠٣ فى التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ قُل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾، وفى الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم رقم (٢٣١٩) فى الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، والترمذى رقم (١٩٢٣) فى البر، باب فى رحمة الناس.

(٣) أخرجه أحمد: ١٥٢٧١، قال: حدَّثنا أبو مُعَاوِيَةَ ٣/٣٩١. و"مسلم" (٣٩٧٢) قال: حدَّثنا أبو بَكْر بن أبى شَيْبَةَ، حدَّثنا حَفْص بن غِيَاث ٥/٢٨.

(٤) قال فى جامع الأصول فى أحاديث الرسول ح ٧٦٧، ٣١٩/٢، أخرجه الترمذى (٣٢١٤) قال: ثنا عبد بن حميد. قال: ثنا عبید الله بن موسى، عن إسرائيل عن السدي، وعن أبى صالح، فنكره.

قال: «جاء الطفيلُ بن عمرو الدؤسى إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ دَوْسًا قد هَلَكْتُ، عَصْتُ وَأَبْتُ، فادْعُ الله عليهم، فَظَنَّ الناسُ أنه يدعو عليهم، فقال: " اللهمَّ اهدِ دَوْسًا، وائتِ بهم" وفي أخرى: «إن دَوْسًا كَفَرَتْ ... وذكر الحديث»^(١) ودعا ﷺ لأم أبي هريرة قبل إسلامها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأنتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إنني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى، فدعوتها فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: " اللهم اهد أم أبي هريرة " فخرجت مستبشرا بدعوة النبي ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشفة قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأنتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله، أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وقال خيرا. قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: " اللهم حبب عبديك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين " فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يرانى إلا أحبنى"^(٢).

ومن السماحة النبوية أن أوصى النبي محمد ﷺ بأقباط مصر خاصة :

أما أقباط مصر فلمهم شأن خاص ومنزلة متميزة، فقد أوصى بهم رسول الله ﷺ وصية خاصة، يعيها عقل كل مسلم، ويضعها في السويداء من قلبه، فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: "الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله"^(٣).

وفي حديث آخر عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن يزيد وعمرو بن حريث أن

(١) رواه البخارى في المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، وفي الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى لتألفهم، وفي الدعوات، باب الدعاء للمشركين ٨/ ٧٩، ومسلم رقم (٢٥٢٤) فى فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطى .

(٢) الجمع بين الصحيحين ٢٧٦٦، ٣/٣١٧.

(٣) أورده الهيثمي فى مجمع الزوائد وقال: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ١٠/٦٢.

رسول الله ﷺ قال: "... فاستوصوا بهم خيراً، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله" (١) يعنى قبط مصر.

وقد صدق الواقع التاريخي ما نبأ به الرسول ﷺ ، فقد رحب الأقباط بالمسلمين الفاتحين، وفتحوا لهم صدورهم، رغم أن الروم الذين كانوا يحكمونهم كانوا نصارى مثلهم، ودخل الأقباط في دين الله أفواجا، حتى إن بعض ولاة بنى أمية فرض الجزية على من أسلم منهم لكثرة من اعتنق الإسلام، وغدت مصر بوابة الإسلام إلى إفريقيا كلها، وغدا أهلها عدة وأعواناً في سبيل الله.

كذلك ويتم تأهيل القادة فكرياً وعلمياً عن طريق دعمهم بصور من سماحة الصحابة والتابعين:

— جاء في خلافة أبي بكر ﷺ كتب خالد بن الوليد ﷺ في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق - وكانوا من النصارى - : " وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله" (٢).

— وكان من وصايا أبي بكر الصديق ﷺ لأمرائه على الحرب قوله: " يا يزيد لا تقتل صبياً ولا امرأة ولا صغيراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شجراً مثمراً، ولا دابة عجماء، ولا بقرة ولا شاة إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن" (٣).

— وأوصى عمر ﷺ الخليفة من بعده بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم.

— ويأمر الفاروق بصرف معاش دائم لليهودى وعياله من بيت مال المسلمين ثم يقول: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (٤)، وهذا من مساكين أهل الكتاب (٥).

— ويمر في رحلته إلى الشام بقوم مجزومين من النصارى فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه كما في المورد (٢٣١٥) وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح ٦٤/١٠.

(٢) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان : خلافة الصديق رضى الله عنه .

(٣) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان : خلافة الفاروق .

(٤) التوبة : ٦٠ .

(٥) الخراج. لأبي يوسف، ص ٢٦ .

وكذلك يتم تأهيل القادة فكرياً وعلمياً عن طريق دعمهم بصور من صور سماحة الإسلام وإحسانه في حالة الحرب، ومن تلك الصور ما يلي:

— نهى الإسلام عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة وأهل الصوامع والبيع الذين لا اعتداء من ناحيتهم ولا خطر من بقائهم، فكان رسولنا ﷺ إذا أرسل جيشاً أو سرية يوصيهم بالإحسان والتسامح والرحمة بالنساء والضعفاء.

ففي الصحيح عن بريدة ؓ قال كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بنقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا.." (١).

— وهكذا كان الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ، فهذا أبو بكر ؓ يوصي أحد الجيوش فيقول: (يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً فاذكروا اسم الله عليها) (٢).

— ومن الصفحات المضيئة في تاريخنا الإسلامي ما ورد أن الصحابة لما دخلوا حمص وفرضوا على أهلها الجزية فجاءهم أمر من أبي عبيدة بن الجراح بمغادرة حمص للانضمام إلى جيش المسلمين حيث مواجهة الروم في اليرموك أعادوا إلى أهل حمص ما أخذوه؛ وقالوا: إنا أخذناه في مقابل الدفاع عنكم، أما وقد خرجنا فقد أصبحنا غير قادرين على حمايتكم فلزم رد ما أخذناه منكم؛ فعجب لذلك أهل حمص أشد العجب وتمنوا لهم النصر على عدوهم.

(١) سبق تخريجه.

(٢) تاريخ دمشق. لابن عساكر: ٥٠/٢.

المطلب الثانى

تأهيل القادة الدينيين والدعاة أخلاقياً وسلوكياً

لنشر سماحة الإسلام

ويعد تأهيل القادة الدينيين [أخلاقياً وسلوكياً] لنشر سماحة الإسلام، هو المطلب الثانى من مبحث أسس تأهيل القادة الدينيين والدعاة لنشر سماحة الإسلام، وهو العنصر الثانى من عناصر تحديد آليات المنهج المستخدم فى إعداد القيادات الدينية والدعوية، وهى الصفة المراد زرعها فى القيادات الدينية والدعوية المرشحة لنشر قيمة السماحة أثناء التأهيل، فلا بد أن يتحلى القادة الدينيين والدعاة أخلاقياً بأن يكون خلقهم السماحة والسلوك المتبع لديهم هو السماحة فى معاملاتهم وفى جميع شؤون حياتهم حتى يكونوا قدوة يقتدى بهم فى خلق السماحة، وذلك عملاً بمقولة [إذا كنت إمامى فكن أمامى] أى إذا أردت أن أقوم بفعل شىء فعليك أن تكون قدوة لى فى هذا الأمر بأن تسبقنى إليه، فقد كان الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم والأئمة من بعدهم إذا أرادوا أن يخطبوا خطبة فى أمر معين ألزموا أنفسهم بفعل هذا الأمر قبل أن يدعوا الناس إليه.

"فإذا كان القائد يقول لمرؤوسيه: «افعلوا كما أقول لكم»، ولا يقول لهم: «افعلوا كما أفعل» فإنه سيفشل فى مهامه"^(١)، ومن دلائل القدوة ما جاء عن عبد الله بن عمرو أنه كان يوصى غلامه أن يعطى جاره اليهودى من الأضحية، ويكرر الوصية مرة بعد مرة، حتى دهش الغلام وسأله عن سر هذه العناية بجار يهودي؟ قال ابن عمرو: إن النبى ﷺ قال: "ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"^(٢)، فلم يكن عبد الله بن عمرو ليأمر بذلك لولا أنه رأى سماحة النبى ﷺ مع جيرانه .

كما أنّ من المعلوم أثر القدوة فى النفوس والسلوك البشرى، وكأنى بحكيم الصين (كونفوشيوس)^(٣) يتحدّث فيقول: « قل وسوف أنسى، أرنى ولعلى أتذكر، شاركنى وسوف

(١) القيادة: فيليب سادلر، ص ٢١٧، نقلا عن رسالة دكتوراه إعداد القيادة بين الفكر الإسلامى والفكر الوضعى. دراسة مقارنة، للباحث عادل عبد الله هندی، ص ١٧٠.

(٢) رواه البخارى فى الأدب، باب الوصاة بالجار ٣٦٩/١٠، ومسلم رقم (٢٦٢٤) فى البر والصلة، باب الوصية بالجار، وأبو داود رقم (٥١٥١) فى الأدب، باب فى حق الجوار، والترمذى رقم (١٩٤٣) فى البر، باب ما جاء فى حق الجوار.

(٣) كونفوشيوس: (٥٥١ - ٤٧٩ ق م) فيلسوف ومصالح اجتماعى صينى مؤسس الكونفوشيوسية. تركت آثاره أثراً عميقاً فى حضارات شرق آسيا جميعها [معجم أعلام المورد]، ص ٣٧٨.

أتذكر»^(١)، ومن هنا لزم اهتمام القائمين على إعداد القيادات الدينية على السماح بالعمل على تأهيلهم أخلاقياً وسلوكياً؛ لا سيما وأنهم يمثلون قيم الإسلام والأزهر الشريف المؤسسة، إضافةً إلى أنهم قدوة أمام غيرهم، وعلى خطاهم يسير أغلب التابعين.

فالقائد حينما يتخلى عن السماح يفقد الثقة بينه وبين أتباعه، ومن ثم تسقط المؤسسة، ويتهافت عليها أعداؤها من كل جانب؛ فيجب أن يتحلى القادة الدينيين بالسماحة مع الناس وإلا فكيف يقتدى بهم الناس في التخلق بخلق السماح كما يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾^(٢)، فينبغي أن يكون القائد الديني حريصاً على السماح في معاملاته، ويجتهد دائماً في تعليم الناس أمور دينهم بسماحة ورفق ولين وأن لا يغلق بابه دونهم.

ومن السماح الرحمة المتوازنة: لا يغيب عن العقلاء من البشر خطورة الشدة والقسوة في إدارة حياة الناس، وقد توفرت صفة الرحمة في قادة الإسلام والمسلمين عبر التاريخ الإسلامي المشرف قديماً؛ سيراً على درب نبيهم المصطفى ﷺ، وذلك على عكس ما تراه المجتمعات بأعينها من وحشية قادة منفيين عن الإنسانية والدين في العصر الحاضر، وقد وصف الله نبيه الحبيب ﷺ -ممتناً عليه- بقوله له: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٣﴾﴾^(٣).

فحرى بمن يتولى أمر الدعوة إلى الله أن يتخلق بالرحمة والرفق مع الناس ويرحم ضعفهم ويصبر على أذاهم حتى يكون قدوة للناس في السماح بأفعاله قبل أقواله، ومن هذه الآية الكريمة يمكن استنباط عدد من الوسائل التي خدمت المنهجية القيادية للنبي ﷺ، وأظهرت عظمته عليه الصلاة والسلام، ومن هذه الوسائل ما يأتي:

(١) تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر: د. على الحمادي، ط ١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار ابن حزم،

بيروت- لبنان، ص ١٠.

(٢) الصف : ٣، ٢.

(٣) آل عمران : ١٥٩.

١. اللين الذى تَمَتَّعَ به الرسول ﷺ وذلك من رحمة الله تعالى للأمة، وعدم الفظاظة والشدّة والغلظة حبَّبَ الرسول إلى الصحابة، فالتفوا حوله، والأمر بالعفو عن صحابته، والأمر بالاستغفار والدعاء لهم، والأمر بالتشاور فى جميع الأمور، والأمر بالتوكّل على الله بعد العزم، وقد دعا النبى ﷺ ربّه قائلاً: «اللهم، مَنْ ولى مِنْ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ ولى مِنْ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَّقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(١)، وما كان ذلك من رسول الله ﷺ إلا رحمةً منه بأمتّه وبأبناء الأمة، وتلك هى القيادة الصالحة المحبّة لعباد الله، والمحبّبة إلى خلق الله تعالى.

ورقة قلب القائد فى تفهّم مشاعر الأتباع لهى أكبر دليل على إنسانيته وإحساسه بهموم الآخرين، وقد أوصى الخلفاء قادتهم وولاتهم بهذا الأمر، فقد ورد فى وصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لأبى موسى الأشعري ﷺ قوله: "عُد مريض المسلمين، واحضر جنازتهم وافتح بابك، وباشر أمورهم بنفسك؛ فإنما أنت رجل منهم؛ غير أن الله عز وجل جعلك أنقلهم حملاً"^(٢). وفى ذلك وصية عملية للقائد بأن يكون متفهّماً حاجات الناس ومشاعرهم، وأن يكون واحداً منهم، وأن يكون رحيماً ودوداً إليهم مما يساعد الناس ويعلمهم التحلى والتخلق بخلق السامحة.

٢. الصبر والتسامح: الصبر عند القيادة ضرورة شرعية وعقلية وواقعية؛ قد يقابل القائد كثيراً من الرفض والانتقاد والقلق الإداري، فلا بد من الصبر؛ كما أنّ القيادة لا يمكن لها أن تتصوّر أن يكون ردّ الأتباع دائماً موافقاً لها بدون نقدٍ مّا.

٣. الاجتماعية والمشاركة مع الناس: فلا يعقل أن يكون الإنسان قائداً وهو فى عزلةٍ مع الناس، ومع أتباعه؛ فلقد ربّى الإسلام أتباعه على روح التشارك مع المجتمع المحيط بهم، من مسلم وغير مسلم؛ فالحياة تشارك لا تنازع وتنافر.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه عن عبد الرّحمن بن شماسة، عن أمّ المؤمنين السيدة عائشة -رضى الله عنها وعن أبيها-: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحثّ على الرّفق بالرعيّة، والنّهى عن إدخال المشقّة عليهم، حديث رقم (١٨٢٨)، ١٤٥٨/٣.

(٢) عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينورى (المتوفى : ٢٧٦هـ) ط. دار الكتب العلمية- بيروت: ١٤١٨هـ، ٦٤/١.

٤. علو الهمة، وصدق الطمّوح في نشر صفة السماحة بين الناس: فعلوّ الهمة شرط أساس للوصول إلى الطموحات، وإنجاز الأعمال والمهام، يقول ابن الجوزي: "من علامة كمال العقل علوّ الهمة، والراضى بالدون دنى" (١).

ورحم الله أبا الطيب المتنبي (٢) حين قال:

وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا *** كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٣).

وإسلامنا اليوم أحوج ما يكون إلى أصحاب الهمم العالية، والنفوس الزكية المبادرة، ولذلك أورد ابن الجوزي في "صيد الخاطر" أنه قيل لأحد القادة الرجال يوماً: "(لنا حويجة) - تصغير حاجة- أى: جنناك تقضيها لنا، أبى الرجل القائد، وقال: (اطلبوا لها رجلاً) (٤). وهكذا الرجال: لا يكونون إلا للحاجات الكبيرة، وكما قال المتنبي:

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ *** وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا *** وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ (٥).

٥. التواضع والقرب من الناس: إن قيادة الناس ما كانت لتعنى يوماً من الأيام التكبر والغرور؛ فما هي إلا وسيلة تكليفية لقضاء مصالح الخلق، وإقامة الغاية المنشودة من الاستخلاف في الأرض وهي التعمير فيها فيجب على القادة الدينيين والدعاة ان يتحلوا بالتواضع والقرب من الناس وتعليمهم السماحة والرفق واللين وخفض الجناح.

(١) صيد الخاطر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المُتَوَفَّى: ٥٩٧هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، ط ١/ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، دار القلم- دمشق، ص ٢٨.

(٢) هو: "أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، وُلِدَ: ٣٠٣هـ ٩١٥م بالكوفة، ونشأ بالشام، قيل إنّه تنبأ ثم تاب، وله ديوان شعر وكتب مؤلفة، توفي عام ٣٥٤هـ الموافق ٩٦٥م". [الأعلام لخير الدين الزركلي، ١١٥/١ [يُنَصَّرُف].

(٣) ديوان المتنبي: ص ٤٨٣.

(٤) صيد الخاطر: الجوزي، ص ٢٦٣.

(٥) ديوان المتنبي: ص ٣٨٥ ويعنى بقوله هذا: "على قدر العزم من الملوك، وما يكونون عليه من نفاذ القدرة، وتظاهر العلوّ والرفعة، تكون عزائمهم في نفاذها، وبصائرهم في قوتها وثباتها، وعلى قدر الكرام في منازلهم، واستبانة فضائلهم، تكون مكارمهم في جلالتها، وأفعالهم في قوتها وفخامتها". [شرح شعر المتنبي: إبراهيم بن محمد ابن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم بن الإفليلي (المُتَوَفَّى: ٤٤١هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور مصطفى عليان، ط ١/ ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان] ٢/ ٢٤٥.

٦. تنمية المبادرة الذاتية في نشر خلق التسامح عند الناس: وحتى يتحقق للقائد وللقائمين على إعداده «بناء المبادرة» وتنمية هذه القيمة، يُقترح الآتي:

١- طلب التوفيق دائماً من الله ﷻ، كما علمنا سيدنا موسى ﷺ بدعائه لله

قائلاً: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾

يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ^(١)، كما يلزم مع طلب التوفيق من الله تعالى، اعتقاد فرضية المبادرة والحركة الإيجابية في الحياة؛ لا سيما وأن الكسالى والسليبين لا قيمة ولا وزن لهم في حياة الناس، كما أنهم لا يصلحون لبناء الأوطان وإصلاحها؛ خاصة وأنهم لم يعملوا على إصلاح أنفسهم أولاً، وفاقداً الشيء لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه، وصدق الرافي حين قال: "إن لم تزد شيئاً على الدنيا، كنت أنت زائداً عليها" ^(٢).

٢- القراءة في سير المبادرين والجادين: فالقُدوات العملية الجادة والمبادرة تترك أثرها

البالغ في النفوس، ولا نكاد نجد أفضل من سيرة أفضل البشر، وخير الرسل سيدنا رسول الله ﷺ؛ فلقد كان خير عباد الله قولاً وسلوكاً ومبادرةً في كل أمره الخاصة والعامة، ففي وصف سيدنا أنس ابن مالك رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يقول: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لَأَبِي طَلْحَةَ عُرْبِي، وَهُوَ مُنْقَلَدٌ سَيْفُهُ، فَقَالَ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجَدْتُهُ بَحْرًا» يَعْنِي الْفَرَسَ ^(٣)، "إن القراءة في سير العظماء والقادة والأبطال مهمة؛ لأنها تُشعل في نفوسنا معاني العظمة والسمو والتطلع إلى المعالي، وحين تكون السيرة الذاتية لعظيم من العظماء مكتوبة بإتقان، فإن قراءتها تُشكّل نوعاً من المعيشة الحقيقية لصاحبها" ^(٤).. ولا مانع من الاستفادة من قصص الناجحين من البشر ولو كانوا غير مسلمين؛ فخبرة الحياة ليست حصرية على المسلمين، كما أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها؛ فحيثما وجدها التقطها بل هو أولى بها من غيره،

(١) طه: ٢٥-٢٨.

(٢) وحى القلم: أ. مصطفى صادق الرافعي، ج، الطبعة الثانية، دار المعارف- مصر (بُدُون تَارِيخ) ٨٠/٢.

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ إِذَا فَرَعُوا بِاللَّيْلِ، حَدِيثِ رَقْمِ (٣٠٤٠)، ٦٦/٤.

(٤) المسلم الجديد . مقولات قصيرة في بناء الذات: د. عبد الكريم بكار، ط ١/ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، دار السلام- مصر، ص ٧٢.

والشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين اتباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة، تُحبُّ لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله، والمبادئ المفيدة جميعها أينما لاح لهم ذلك، وحيثما وُجد^(١). وفي قصص مثل هذه النماذج إيقاظٌ للطموحات، وتحفيزٌ للطاقات، وتحريكٌ لهمم الرجال الأقوياء في الحياة.

ومن بين الوسائل المساعدة على تأهيل القادة سلوكياً وأخلاقياً، الآتى:

استخدام الوعظ والإرشاد، واستخدام القصّة، والتوازن بين الترغيب والترهيب، والربط بالعبادة فلها أثرها الأخلاقي، والقدوة والنموذج؛ فالناس يسمعون بأعينهم لا بأذانهم، وهو ما يسميه علماء النفس والتربية بالمحاكاة والتقليد.

وبناءً على ما سبق فلا بدّ من العناية بتأهيل القادة الدينيين سلوكياً وأخلاقياً؛ فذلك له أثره على نشر ثقافة السماحة في المجتمع، واقتداء الناس بهؤلاء القادة في التحلى بخلق السماحة.

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة: محمّد سَعِيد رَمَضان البوطي ، ط٢٥ / ١٤٢٦هـ، دار الفكر - دمشق، ص ٢١٨.

المطلب الثالث

تأهيل القادة الدينيين والدعاة تنموياً ومهارياً

لنشر سماحة الإسلام

بعد تأهيل القادة الدينيين [تنموياً ومهارياً] على نشر سماحة الإسلام، هو المطلب الثالث من مبحث أسس تأهيل القادة الدينيين والدعاة على نشر سماحة الإسلام، وهو العنصر الثالث من عناصر تحديد آليات المنهج المستخدم في إعداد القيادات الدينية والدعوية، وهي الوسائل المتاحة لاستخدامها في التأهيل، وتحديد الاحتياجات اللازمة للقادة الدينيين والدعاة من تدريب إيماني وروحي ومهارى وعلمي، والاختيار الجيد لمن يُعَلَّمُونَ وَيُدْرَبُونَ القادة والدعاة على نشر سماحة الإسلام، والبحث عن جوانب القصور والسلبية عند القادة الدينيين والدعاة في الشخصيات المُخْتَارَةَ لأن تقوم بدورها في نشر سماحة الإسلام.

ويأتى التأهيل التنموي والمهارى كأهمّ العوامل المساعدة على إعداد وتشكيل قيادات دينية ناجحة، حكيمة وعظيمة؛ مما يعزز نشر ثقافة التسامح في المجتمع، ولعلّ هذا النوع من التأهيل يمكن إضافته للتأهيل العلمى والمعرفى كجزء من العلوم التى ينبغى على القائد الدينى أن يتعلّمها وأن يُبدع من خلال مهاراتها، لكنها أُفْرِدَتْ هنا بمطلبٍ لأهميتها وضرورتها البالغة. ومما يبدو أن القائد الدينى لا يكفيه الحصول على دورات تنموية أو إدارية بقدر ما يلزم أن يجيد فنون القيادة الحقيقية، كما سيأتى بيانه.

ومن هنا يأتى هذا المطلب كركن رئيس فى التأهيل المهارى والتنموي.

ويقصد بالتأهيل المهاري: قدرة القائد على تحقيق الأهداف التى جاء من أجلها وتحمل المسؤولية فى سبيل تحقيقها، وقدرته على إنجاز الطموحات فى وقت يسير وبجهد أقل، والتأثير فى أتباعه بكافة الأساليب والوسائل المتاحة والمشروعة؛ لأنّ الغايات النبيلة لا يصلح لها إلا الوسائل الشريفة^(١).

ويُعدّ التأهيل المهارى من أهمّ أسس التأهيل؛ لا سيّما وأنّ أمتنا وأوطاننا مرّت بزمان افتقد فيه كثيرٌ من القيادات أدبيات ومهارات التواصل مع الناس، فكان لا بد من بيان بعض هذه المهارات التى يمكن أن يستعين بها القائد الرشيد، الذى نطمح فى إعدادهِ وإنتاجه فى المجتمع، ومن أهمّ هذه المهارات: (الإبداع، وتقدير الآخرين، التشجيع والتحفيز، الاستماع والتلبية للطلبات الناجحة، قضاء حوائج الناس، والقدرة على كسب قلوب الأتباع...).

(١) إعداد القيادة بين الفكر الإسلامى والفكر الوضعى؛ دراسة مقارنة، د. عادل عبد الله هندی،

ويمكن صقل موهبة القادة الدينيين بالتدريب على كثير من مهارات القائد الناجح المؤثر عن طريق:

• حضور المؤتمرات والمنتديات والحلقات النقاشية.

• الزيارات الميدانية لأهل الخبرة.

• الاستفادة من الأبحاث والدراسات المتخصصة.

• حضور المخيمات والمعسكرات المتميزة تربوياً وقيادياً.

ولا يمكن إغفال دور التربية بالموقف والحدث^(١) في نشر خلق السماحة وحسن توظيف الطاقات^(٢)، والتعاون مع القادة الآخرين في نشر قيمة السماحة في المجتمع، والاستفادة بخبرات السابقين، ومهارة النقد من طرف خفي^(٣)، وكسر حاجز الخوف والقلق لدى الجماهير والأتباع، وتحويل السلبي إلى إيجابي بالحكمة والهدوء، وفنّ التطوير والتقويم، وفنّ التحفيز، ومهارات الاتصال بالجماهير، وفنّ الثواب والعقاب، ولا ينبغي أن نغفل عن أهمية تعلم القيادات الدينية هذه المهارات مما ينعكس إيجابياً على نشر قيمة السماحة والتسامح في المجتمع.

(١) وقد تكررت أحداث ومواقف التربية بالقصة والحدث في حياة رسول الله ﷺ؛ كما فعل مع من تحدّث عن سيدنا ماعز يوم رجمه بعد اعترافه بالزنا وتوبته، وقد مرّ على جيفة حمار نتن، وأمرهما بأن يأكلا منه، والقصة معروفة، يمكن مراجعتها في [سنن أبي داود: كتاب الحدود، باب رَجْمِ مَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، حديث رقم (٤٤٢٨)، ١٤٨/٤ .

(٢) وقد علمنا بيان توظيف الطاقات على عهد رسول الله ﷺ يوم أن جعل السفارة لسيدنا مصعب رضي الله عنه، والأمانة لأمين الأمة أبي عبيدة رضي الله عنه، والغزو للحبّ بن الحبّ أسامة رضي الله عنه، والترجمة لكاتب الوحي زيد بن ثابت رضي الله عنه، والشعر والبيان لأمير الشعراء حسّان رضي الله عنه .. إلخ، ويضاف إليها أيضاً: توظيف طاقة سيدنا نعيم بن مسعود يوم أن خذّل عن المسلمين في أحداث غزوة الأحزاب.

ويمكن الاستزادة ومراجعة رسالة العالمية "الدكتوراه" للباحث: محمود بطل، المدرس بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، وقد نوقشت في عام ٢٠١٤م بالكلية ذاتها، حول «منهج النبي ﷺ في توظيف الطاقات البشرية» وهي رسالة جمعت الكثير والكثير من النماذج التطبيقية والمواقف العملية لتوظيف الطاقات البشرية من خلال السنّة النبوية، مما نستطيع معه أن نفاخر الدنيا كلها بسيرة وسنّة سيد الأنام محمد ﷺ .

(٣) وتلك سنّة النبي ﷺ الثابتة، في نقده الصادق الطيب المعلم: «ما بال أقوام ... الحديث» [رواه البخاري، ح(٦٥٤)، كتاب الصلاة، باب ذكر النّبيّ والشراء على المنبر في المسجِدِ ٩٨/١]. ويا ليت دعاة الأمة يتعلّمون من رسول الله هذه المنهجية في النقد، وتعديل السلوكيات، وتقويم الأخطاء بدون تجريح أو تشويه لصورة الآخرين.

ومن بين الفنون التنموية والمهارية التي ينبغي تأهيل القائد عليها، وأخصها بالذكر ما يأتي:
أولاً: فن التوجيه والتحفيز **Motivation** (التعزيز)^(١):

إنّ للتوجيه والتحفيز ارتباطاً وثيقاً بمهارات القياديين الدينيين؛ لذا فهما يعنيان: « كل ما يتعلق بخلق حماسة لدى العاملين والأتباع للتغلب بالسماحة، وهما فن السير الصحيح للقائد بمن تحت إمرته وهدايتهم وتوجيههم مع إشاعة روح الوُدّ والحب والرضا والتفاني والانتماء في العمل حتى يتحقق الهدف المطلوب»^(٢)، كما أنهما بمثابة « تشجيع وإلهام واستثارة دافعية العاملين للعمل، وتقديم المبرر الكافي لدفع الناس للتغلب بالسماحة، ومن أشد ما يحفز الناس على التغلب بخلق السماحة هو ذكر فضائل السماحة في الإسلام وما تم تناوله من سيرة المصطفى ﷺ والصحابة والتابعين من الحث على التسامح والرفق مع الناس وفضله على العنف والشدّة كما سبق ذكره.
ومن بين أنواع التحفيز التي وردت في السيرة النبوية والمستخدمّة في غرس قيمة السماحة الآتي:

١. التحفيز بلفت الانتباه: ومن المواقف الدالة على سماحته ﷺ مع غير المسلمين هذا الموقف مع يهودى يدعى زيد بن سعة أراد أن يختبر حلمه ﷺ: قال زيد لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، قال: فكنّت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فذكر قصة إسلافه للنبي ﷺ ما لا في ثمرة، قال: فلما حل الأجل أتيت، فأخذت بمجامع قميصه وردائه وهو في جنازة مع أصحابه ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت: يا محمد ألا تقضيني حقى، فو الله ما علمتكم بنى عبد المطلب لمطل، قال: فنظر إلى عمر وعيناه يدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم قال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفى رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال: أنا وهو

(١) وهو عبارة عن "إثابة السلوك المطلوب، ويتم ذلك بإثابة العميل على السلوك السوى المطلوب مما يعززه "أى يدعمه ويثبته" وتضم أشكال الثواب أى شيء مادي أو معنى يؤدي إلى رضا العميل عندما يقوم بالسلوك المطلوب "مثل النقود أو الطعام أو المدح أو الحب أو الاحترام أو الدرجات المرتفعة.. إلخ". [التوجيه والإرشاد النفسى: ص ٣٦٩].

(٢) الإدارة فى الإسلام، الفكر والتطبيق: د. عبد الرحمن إبراهيم الضحيان، ط ١/ ١٤٠٧هـ، دار الشروق، جدّة- السعودية ص ١٦٦. وكيف تكون قائداً ناجحاً: مارك هانسن، ص ٥٣.

كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزد عشرين صاعاً من تمر فأسلم زيد بن سعدة .

٢. التحفيز بالحبّ والعاطفة: كما فعل نبينا ﷺ مع السيدة جويرية بنت الحارث حينما سببت عقب غزوة بنى المصطلق وسبى قومها، فتزوجها النبي ﷺ واستأذن الصحابة الكرام أن يطلقوا سراح قومها فأطلق الصحابة سراحهم وقالوا أصهار رسول الله ﷺ فأسلم القوم كلهم، مما يدل على سماحة النبي ﷺ وكيف أن سماحته كانت سبباً في استمالة قلوب المشركين^(١).

٣. التحفيز بالسؤال المُعلّم: ولقد ظهرت براعة النبي القائد ﷺ باستخدام هذا النوع من التحفيز للعقول والأفكار؛ حيث كان السؤال الموجّه منه لأصحابه محفزاً لهم على الائتثار بأمره، والانتهاه بنهيه، ففي الأحاديث: عندما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح قال لأهلها: ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فما أعظم سماحته ﷺ في مثل هذا الموقف.

٤. التحفيز على الفعل أو الترك بالإقناع العقلي والعاطفي: وهى وسيلة مستخدمة عند علماء التربية والاجتماع، وقد سبقهم النبي ﷺ إلى تدريسها وتعليمها لأصحابه، ففي حديث الشاب الذى أراد الزنا ما يعبر عن المقصود: فعن أبي أمامة ﷺ قال: إن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أئذن لى بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: "أذنه، فدنا منه قريباً". قال: فجلس قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا، والله جعلنى الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا، والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟" قال: لا، والله جعلنى الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا، والله جعلنى الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟" قال: لا، والله جعلنى الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(٢)، فقد استطاع النبي ﷺ وهو المُعلّم أن يقنع هذا الشاب بترك ما كانت تهواه نفسه وتشتاق إليه؛ من خلال

(١) دلائل النبوة : ٤٨، ٩١/١.

(٢) المُسند : تنمة مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي الصدّي بن عجلان بن عمرو، ويُقال: ابن وهب الباهلي، عن النبي ﷺ، حديث رقم (٢٢٢١١)، وقال عنه شعيب فى التحقيق : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح" ٥٤٥/٢٦.

التحفيز الإقناعي وبأسلوب يمتاز بالسماحة والرفق واللين مع شباب جاء يستأذنه في ارتكاب كبيرة من الكبائر، فلم ينهره بأسوب قاس، وإنما أقنعه بالعقل، وأثار حميته ونخوته وغيرته على نساء بيته، ويبين ذلك الموقف سماحة النبي ﷺ حتى مع أهل المعاصي.

ولقد جزم غير واحد من المتخصصين في علم الإدارة والقيادة بأن التحفيز بالإقناع هو الوسيلة الأنجح للوصول لنتائج مبهرة ومنصفة، والمعهود أنه "... يمكن لأي قائد أن يفرض سيطرته في التغيير بالإكراه والقسر، وكلما كان التأثير أكثر قسراً وإكراهاً، قل احتمال الوصول إلى نتائج منصفة تبدو مقبولة لكل الأشخاص المشتركين في العملية، إن الإقناع وليس الإكراه هو الذى يبني علاقات سليمة بين زملاء وأصدقاء العمل الواحد المشترك"^(١)، وبهذا يتوافق المختصون في علم القيادة - من أرباب الفكر الوضعى - مع الفكر الإسلامى فى ضرورة الإقناع للتغيير بديلاً عن الإكراه والقسر.

ثانياً : فن الاتصال بال جماهير Communication والتأثير فيهم:

ويقصد بالاتصال الجماهيري: " فن إرسال المعلومات والأفكار والمفاهيم والمواقف من شخص إلى آخر، وقد يتعامل القائم بالاتصال مع جمهور غفير متنافر، ويتضمن عمله هذا معرفة ما يريد إرساله، وكيف يرسله؛ لتحقيق أفضل تأثير ممكن فى الجمهور"^(٢).

ويعرفه البعض بأنه: "العملية التى يقوم فيها الفرد بإرسال إشارة إلى فرد آخر؛ بهدف التأثير فى معتقداته أو سلوكه"^(٣)، وللاتصال الجماهيري أهميته؛ فإذا كان استمرار التنفس له علاقة ببقاء الجسد على قيد الحياة، فإن استمرار اتصال البشر ببعضهم شرط للتأثير فى الحياة وإجادة التعاون بين الناس، والقائد الدينى حرى به أن يجيد فن الاتصال الفعال والمؤثر مع الأتباع والجماهير، وفن الخطابة؛ مما يعزز من نشر قيمة السماحة فى المجتمع.

ولن يستطيع أى قائد - مهما كان يمتلك من نفوذ وسلطة - أن يؤثر فى الآخرين ما لم يتخلل داخل مشاعر الأتباع وأحاسيسهم وعواطفهم، ومن بين مهارات التأثير فى الآخرين:

(١) فن التعامل مع الزملاء: نورمان سي. هيل، ترجمة: مركز القعيد للترجمة بالسعودية، (بتصرف يسير)، ط١/١٤٢٢هـ، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض - السعودية، ص٧٥.

(٢) الاتصال الجماهيري، تأليف: إدوين إمري، فيليب. هـ. أولت، دارين ك. آجي، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، ط١/٢٠٠٠م، المجلس الأعلى للثقافة - مصر، ص٣٠.

(٣) القيادة فى المؤسسات التعليمية: د. محمد صبرى حافظ، د. الحسن بن محمد المغيدي، د. السيد محمود البحيري، ط١/٢٠١٣م، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ص٢٠٦.

١. الاستماع الجيد للأتباع، والمصارحة في الحوار؛ فالقائد الديني المستمع مؤثر، أمّا الفظ الغليظ الذي لا يستمع ولا يعطى فرصة لمن يعارضه أن يتحدّث ويعبّر عن وجهة نظره، فلا يُكتب له النّجاح طويلاً.

٢. السعى إلى أن يكون الذهن صافياً وأن يسعى إلى أن يفهم ويفهم.

٣. طرح الأسئلة التي تبرز اهتمام القائد الديني بمن يتحدّث إليه أو يتعامل معه حتى يتأكد الداعية من وصول مفهوم السّماحة لمن يستمع إليه.

٤. دراسة لغة الجسد Body Language واستخدامها^(١) لمعرفة مدى تقبل المستمعين للرسالة المطلوب تبليغها عن أهمية التحلى بخلق السّماحة ونشره في المجتمع.

٥. إظهار الاهتمام بالآخرين - ليس تمثيلاً عليهم - ولكن هكذا ينبغي أن تكون العلاقات مع الناس. إضافةً إلى احترام مشاعر الآخرين، حسب احتياجاتهم وآرائهم. ومن صور الاتصال الجيد بالجماهير: حُسن التحدّث إليهم؛ فقد "جاء في معجم « كامبردج » لتاريخ الأدب الأمريكي أن الرئيس « لنكولن » - صاحب الشعبية الواسعة - لم يفز بموقع الرئاسة في حزبه عام ١٨٦٠م بسبب سياساته أو أعماله؛ وإنما بأسلوبه المؤثر في التخاطب والتعبير، وهكذا الحال في كل الحركات التغييرية، فإنّ الأقدر على قوّة التعبير والخطاب هو الأقدر على القيادة"^(٢).

ثالثاً : الحوار البناء:

ومن بين مهارات القيادة الدينية: القدرة على الحوار البناء، وإتاحة الفرصة أمام الناس للسؤال والاستفسار عما يجهلونه من أمور الدين، أو ما يجدونه صعباً، أو ما يختلط عليهم أحياناً في فهم ما يحل وما يحرم، أو ما يستجد على الساحة الاجتماعية أو الفكرية، أو تفنيد الشبهات والرد عليها فيما يتعلق بسماحة الإسلام.

(١) يمكن الرجوع بالتفصيل إلى [القيادة للجميع: ببيتروج. دين، ص٢١٧: ٢٢٥].

(٢) دليل التدريب القيادي: د. هشام الطالب، ص ٦٥.

ومن كل ما تقدم يمكننا أن نخرج بجملة من الوسائل لنشر قيمة السماحة فى المجتمع،
وهى كالتالى:

١. يتم تدريب القادة الدينيين والدعاة على سماحة الإسلام عن طريق دورات تدريبية وندوات ولقاءات مع الرموز الدعوية التى تتصف بصفة السماحة.
٢. يضاف موضوع السماحة فى الإسلام فى التدريس فى مادة التربية الدينية وأن يأخذ الاهتمام والأولوية.
٣. قيام الدعاة بقوافل دعوية لنشر سماحة الإسلام فى جميع مجالات الحياة.
٤. إعداد وزارة الأوقاف برنامج للأئمة والخطباء والدعاة يتبنى ترسيخ قيمة السماحة فى أذهانهم حتى تنعكس على خطابهم الدعوي.
٥. أن يكون خطاب الدعاة الدينى متبنى المنهج السامح لترسيخ قيم السماحة، ونشر هذه الثقافة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.
٦. عمل مناظرات بين منهج السماحة فى الإسلام وبين المناهج الأخرى التى تدعى صلاحيتها لهذا الزمان والتى تدعى السماحة، وذلك لبيان أسبقية الإسلام فى السماحة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.
٧. نشر ثقافة السماحة بين جميع شرائح المجتمع للقضاء على مشكلة العنف.
٨. تقوم وزارة الأوقاف وجامعة الأزهر بجمع وطباعة ونشر البحوث التى تتعلق بالسماحة والتى تم تأليفها وإجازتها على مستوى العالم الإسلامى ليستفيد منها الدعاة والأئمة، وتدرس فى المراحل الدراسية المختلفة لطلاب الجامعة لترسيخ قيمة السماحة.
٩. أن يقوم الآباء والأمهات بتنشئة الأبناء على السماحة ونبذ العنف.
١٠. ضرورة بيان سماحة الشريعة الإسلامية وخاصة فى الفضائيات.
١١. يتم استثمار الإعلام لتقديم برامج تستضيف علماء يتحدثون عن السماحة فى الإسلام فى عقائده وعباداته ومعاملاته وجميع شئون حياته.
١٢. وضع ميثاق إعلامى وتبنيه لتعميق فكرة السماحة فى النفوس، وترغيب الناس فيها وتغييرهم من التطرف والتعصب والتشدد، بحيث يكون الإعلام الإسلامى مثلاً يُقتدى به ويعزز قيمة السماحة.
١٣. يتم تدريب كوادر إعلامية ذات ثقافة سامة لتكون ركيزة للعمل الإعلامى فى المستقبل.

- ونخلص من هذا المبحث إلى أنّ تأهيل القيادات الدينية له أسس شاملة، متكاملة، متصلة ببعضها البعض من أجل نشر السماحة في المجتمع، وهي على سبيل الإجمال:
١. بناء العقيدة والعبادة الحقيقية، والأخلاق الصحيحة، مع تنمية الصفاء النفسى والعبق الروحيّ، وهو ما يشار إليه بـ «الإخلاص»، ويتبع ذلك فهم طبيعة المهمة والرسالة التي سيقوم القائد بأدائها.
 ٢. بناء الفهم وتنمية الوعي والعقل البشري، والتربية المستمرة على إدارة النفس والذات.
 ٣. التدريب على بناء العلاقات والتواصل المؤثر في الآخرين، وتعلّم مهارات الإدارة وفنيات القيادة الإدارية.
 ٤. صحبة القادة والخلطة مع الفائزين منهم؛ فقد وُجدَ من خلال بعض الدراسات أنّ كثيراً من المشاهير والقادة الذين تمّت دراسة حياتهم قد تعرّفوا على قادة سابقين في مرحلة مبكرة من العمر.
 ٥. تنمية القدرات العقلية والأغذية الفكرية؛ فالعقل بحاجة إلى الموادّ الغذائية التي تحقّق نموه ونضجه واتزانها، ومنها الغذاء الفكري المتنوع إسلامياً وغير إسلامي. إنّنا نريد قيادات صادقة فى أقوالها وأفعالها، وفيّة فى أخلاقياتها، أمينة عادلة، مخلصّة فى القول والعمل، قوية، شجاعة، حكيمة، متفاعلة مع الآخرين، تعمل على تنمية عقلها ووعيها ومهاراتها، قيادات تستغل أوقاتها، واثقة بنفسها وبقدراتها، منجزة للمهامّ والأعمال.

الخاتمة

وتتضمن النتائج التالية :

- ١- أن السماحة من أهم الخصائص التي اختصت بها أمة محمد ﷺ ، فالشريعة الإسلامية هي شريعة الحنيفية السمحاء، وهي من أبرز الخصائص التي جعلته صالحاً لكل زمان ومكان وجعلت الإسلام منتشرًا في جميع بقاع الأرض.
 - ٢- أن السماحة التي حث عليها الإسلام هي السماحة الوسطى التي لا تضيع الحقوق.
 - ٣- أن السماحة تدخل في جميع مجالات الحياة في العقيدة والعبادة والمعاملات.
 - ٤- أن السماحة تسهم في محاربة البغض والشحناء التي تؤدي إلى البغى على الغير، وتبين أن الشريعة الإسلامية قائمة على المنهج السمح، وتعطى الصورة الناصعة عن الإسلام باعتباره دين الحنيفية السمحاء للاعتدال والوسطية من خلال أحكامه الفقهية.
 - ٥- أننا في أشد الحاجة إلى إبراز قيمة السماحة وتأهيل القادة الدينيين والدعاة لنشرها لإبراز صورة الإسلام السمح.
 - ٦- أنه من خلال تتبع السنة النبوية المطهرة نجد أن النبي محمد ﷺ أكبر نموذج للسماحة في حياته حتى مع غير المسلمين، وهناك نماذج كثيرة سبق ذكرها تبين سماحة الشريعة الإسلامية.
 - ٧- أن السماحة تؤدي إلى سعادة القلب وراحة البال.
 - ٨- أن الوسطية حالة محمودة تعصم الإنسان من الغلو في البغض.
 - ٩- أن من أسباب ظهور المتشددین والمتطرفین هو الجهل بحقيقة سماحة الدين الإسلامي.
 - ١٠- من خلال هذا البحث تبين أن للسماحة عدة ضوابط وهي كالتالي:
 - أ. وسطية السماحة، فلا تهوين ولا تهويل.
 - ب. ألا تتنافى مع انتهاك حدود الله أو حرمانه.
 - ج. ألا يكون فيها تضييع للحقوق بغير طيب نفس.
 - ١١- أن تبنى السماحة له آثار إيجابية تتمثل في انتشار الود والوئام والاستقرار والأمان بين الناس، مما ينعكس بالضرورة على الوطن كله ويزيد من تقدمه واستقراره وازدهاره.
- فهذه بعض النتائج التي توصلت إليها أثناء بحثي، وأسأل الله أن ينفع به القادة الدينيين والدعاة في كل بقاع الأرض، وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم توصيات البحث

- خرجت من خلال هذا البحث بجملة من التوصيات، وهى كالتالي:
1. أوصى بأن يتم تدريب القادة الدينيين والدعاة على سماحة الإسلام، عن طريق دورات تدريبية، وندوات، ولقاءات مع الرموز الدعوية التى تتصف بصفة السماحة.
 2. أوصى بأن يضاف موضوع السماحة فى الإسلام إلى التدريس فى مادة التربية الدينية، وأن يأخذ الاهتمام والأولوية.
 3. أوصى الدعاة بالقيام بقوافل دعوية لنشر سماحة الإسلام فى جميع مجالات الحياة.
 4. أوصى وزارة الأوقاف بإعداد برنامج للأئمة والخطباء والدعاة يتبنى ترسيخ قيمة السماحة فى أذهانهم، حتى تنعكس على خطابهم الدعوي.
 5. أوصى الدعاة أن يكون خطابهم الدينى متبنى المنهج السامح لترسيخ قيم السماحة، ونشر هذه الثقافة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.
 6. أوصى بعمل مناظرات بين منهج السماحة فى الإسلام وبين المناهج الأخرى التى تدعى صلاحيتها لهذا الزمان والتى تدعى السماحة، وذلك لبيان أسبقية الإسلام فى السماحة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.
 7. أوصى بنشر ثقافة السماحة بين جميع شرائح المجتمع للقضاء على مشكلة العنف.
 8. أوصى بأن تقوم وزارة الأوقاف وجامعة الأزهر بجمع وطباعة ونشر البحوث التى تتعلق بالسماحة والتى تم تأليفها وإجازتها على مستوى العالم الإسلامى ليستفيد منها الدعاة والأئمة، وتدرس فى المراحل الدراسية المختلفة لطلاب الجامعة لترسيخ قيمة السماحة.
 9. أوصى الآباء والأمهات بضرورة تنشئة الأبناء على السماحة ونبذ العنف.
 10. أوصى بضرورة بيان سماحة الشريعة الإسلامية وخاصة فى الفضائيات.
 11. أوصى أن يتم استثمار الإعلام لتقديم برامج تستضيف علماء يتحدثون عن السماحة فى الإسلام فى عقائده وعباداته ومعاملاته وجميع شئون حياته.
 12. أوصى بوضع ميثاق إعلامى يتبنى تعميق فكرة السماحة فى النفوس ويرغب الناس فيها، وينفرهم من التطرف والتعصب والتشدد، بحيث يكون الإعلام الإسلامى مثلاً يُقتدى به ويعزز قيمة السماحة.

١٣. أوصى بأن يتم تدريب كوادر إعلامية ذات ثقافة سمحة لتكون ركيزة للعمل الإعلامي في المستقبل .

وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل المتواضع الإسلام والمسلمين، وأن يجعل لهذا البحث الصغير أثراً كبيراً، وأن يكون حجة لى لا على يوم الدين: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).

(١) الشعراء: ٨٨- ٨٩.